﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: 195]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمّا سبقَ الأمرُ بالقتال، أعقبَه بأهمِّ ضامنٍ لإتاحتِه ودَعْمِه، وهو الإنفاقُ:

"اعْلَمْ أَنَّ تَعَلُّقَ هَذِهِ الآيَةِ بِمَا قَبْلَهَا ... أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَ بِالقِتَالِ؛ والاشْتِغَالُ بِالقِتَالِ، لَا يَتَيَسَّرُ إِلَّا بِالآلَاتِ وَأَدَوَاتٍ، يُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى المَالِ، وَرُبَّمَا كَانَ ذُو المَالِ عَاجِزًا عَنِ القِتَالِ، وَكَانَ الشُّجَاعُ القَادِرُ عَلَى القِتَالِ فَقِيرًا عَدِيمَ المَالِ، فَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الأَغْنِيَاءَ بِأَنْ يُنْفِقُواْ عَلَى الفُقَرَاءِ الَّذِينَ يَقْدِرُونَ عَلَى القِتَالِ"[1]، "وَلَمَّا اعْتَقَبَتْ هَذِهِ الآيَةُ لِمَا قَبْلَهَا، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى القِتَالِ، وَالأَمْرِ بِهِ، تَبَادَرَ إِلَى الذِّهْنِ النَّفَقَةُ فِي الجِهَادِ لِلْمُنَاسَبَةِ"[2]، "لَمَّا أُمِرُواْ بِقِتَالِ عَدُوِّهِمْ، وَكَانَ العَدُوُّ أَوْفَرَ مِنْهُمْ عُدَّةَ حَرْبٍ أَيْقَظَهُمْ إِلَى الاسْتِعْدَادِ بِإِنْفَاقِ الأَمْوَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَالمُخَاطَبُونَ بِالأَمْرِ بِالإِنْفَاقِ جَمِيعُ المُسْلِمِينَ لَا خُصُوصَ المُقَاتِلِينَ"[3]، قال البقاعي: "ولما كانتِ النّفقةُ من أعظمِ دعائمِ الجهاد، وكان العيشُ في أوّلِ الإسلام ضيِّقًا والمالُ قليلًا، فكان ذلك موجبًا لكلّ أحدٍ أن يتمسّك بما في يده، ظنًّا أنّ في التّمسُّك به النّجاةَ، وفي إنفاقِه الهلاكَ، أخبَرهم أنّ الأمرَ على غير ما يُسوّلُ به الشّيطانُ من ذلك"[4].

الأمرُ ببذل المال، بعدَ الأمرِ ببَذْل الأنفُسِ، هو لبُّ الإحسان

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾: (هَلَكَ) أصلٌ يَدُلُّ عَلَى كَسْرٍ وَسُقُوطٍ[5]، والتَّهْلُكَة: عَلَى وَزْنِ تَفْعُلَة،

(1) الرّازي، التّفسير الكبير: 5/293.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/251.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/212.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 3/119.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هلك).

مَصْدَرٌ لِهَلَكَ، وتفعُلَة مصدرًا قَليلٌ، فالتَّهْلُكَةُ: مَا أَمْكَنَ التَّحَرُّزُ مِنْهُ، وَالهَلَاكُ مَا لَا يُمْكِنُ التَّحَرُّزُ مِنْهُ، وَقِيلَ ﴿ٱلتَّهْلُكَةِ﴾: الشَّيْءُ المُهْلِكُ، وَالهَلَاكُ حُدُوثُ التَّلَفِ، وَقِيلَ: ﴿ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ كُلُّ مَا تَصِيرُ غَايَتُهُ إِلَى الهَلَاكِ[1].

2) ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾: جذرها (حَسَنَ)، والإحسانُ إمَّا الإنعام على الآخرين، يقال: أحْسَنَ إلى فلان، أو الإحسانُ في الفعل[2]، وفي معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدُها: أنّه عنَى به الإحسانَ في أداء الفرائض؛ وهو قولُ بعض الصّحابة، والثّاني: وأحسنُواْ الظّنّ بالقَدَر؛ وهو قولُ عِكرمة، والثّالث: عودُواْ بالإحسان، على من ليس بيده شيءٌ؛ وهذا قولُ زيد بن أسلم[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الدّعوةُ للإنفاق، حَصانةٌ مِنَ الهلاك، ومَسلكٌ للإحسان

يأمر الله تعالى المؤمنين أن استمرُّواْ في إنفاق الأموال لنُصرةِ دينِ الله تعالى، والجهادِ في سبيله، لإعلاء كلمة الله، وإعزازِ دينه، ولا تُوقعُواْ أنفسَكم في المهالك، بترك الجهادِ في سبيل الله، وعدمِ الإنفاق فيه، وأحسنُواْ في الإنفاق والطّاعةِ، واجْعلُواْ عملَكم كلَّه خالصًا لوجه الله تعالى؛ فإنّ الله تعالى يُثيب أهلَ الإخلاص والإحسان. فالآيةُ الكريمةُ تهييجٌ للمؤمنين، وإغراءٌ لهم على قتال أعدائِهم، بدون تردُّدٍ أو تهيُّبٍ، وإرشادٌ لهم، إلى أن يجعلُواْ جهادَهم من أجل نُصرةِ الحقّ، لا من أجل المطامِع أو الشّهَوات[4].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

تعيينُ المرادِ بالأمر بالإنفاقِ في قولِه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

الأمـرُ بالإنفـاقِ يختصُّ فيما كان (في سَبِيلِ ٱللَّهِ)

المرادُ بالإنفاقِ في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، "صَرْفُ المَالِ، إِلَى وُجُوهِ المَصَالِحِ، فَلِذَلِكَ لَا يُقَالُ فِي المُضَيِّعِ: إِنَّهُ مُنْفِقٌ؛ فَإِذَا قَيَّدَ الإِنْفَاقَ بِذِكْرِ سَبِيلِ اللَّهِ، فَالمُرَادُ به في طريق الدِّين، لأنّ السَّبيلَ هو الطَّرِيقُ،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/231-232، والواحديّ، التّفسير البسيط: 3/631، والرّاغب، المفردات: (هلك).
(2) الرّاغب، المفردات: (حسن).
(3) الماورديّ، النّكت والعيون: 1/254، والخازن، لباب التأويل: 1/123.
(4) نخبة من العلماء، التّفسير الميسّر: ص: 30، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم: 1/408.

وَسَبِيلُ اللَّهِ هو دِينُه، فَكُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِه في دِينِه مِنَ الإِنْفَاقِ، فهو دَاخِلٌ في الآيَةِ، سَوَاءٌ كَانَ إِنْفَاقًا في حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، أَوْ كَانَ جِهَادًا بِالنَّفْسِ، أَوْ تَجْهِيزًا لِلْغَيْرِ، أَوْ كَانَ إِنْفَاقًا في صِلَةِ الرَّحِمِ، أَوْ في الصَّدَقَاتِ أَوْ عَلَى العِيَالِ، أَوْ في الزَّكَوَاتِ وَالكَفَّارَاتِ، أَوْ عِمَارَةِ السَّبِيلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ الأَقْرَبَ في هَذِهِ الآيَةِ – وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الجِهَادِ –، أَنَّهُ يُرَادُ بِهِ الإِنْفَاقُ في الجِهَادِ"[1].

وجهُ الأمرِ في قولِه تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

تنبيهُ المؤمنين على ضرورةِ حفظِ الدِّين بالإنفاقِ

أمر سبحانه وتعالى المؤمنين بالإنفاقِ في سبيل الله تعالى، وهو أمرٌ بدهيٌّ معلومٌ لدى المؤمنين، فما وجه الحاجةِ إلى هذا الأمر؟! والجواب: "تَنْبِيهُ المُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ يُقَصِّرُونَ في الإِتْيَانِ عَلَى مُنْتَهَى الاسْتِعْدَادِ لِعَدُوٍّ قَوِيٍّ؛ لأَنَّهُمْ قَدْ مُلِئَتْ قُلُوبُهُمْ إِيمَانًا بِاللَّهِ، وَثِقَةً بِهِ، وَمُلِئَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِوَعْدِ اللَّهِ إِيَّاهُمُ النَّصْرَ، وَأَخِيرًا بِقَوْلِه: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، نُبِّهُوا عَلَى أَنَّ تَعَهُّدَ اللَّهِ لَهُمْ بِالتَّأْيِيدِ وَالنَّصْرِ، لَا يُسْقِطُ عَنْهُمْ أَخْذَ العُدَّةِ المَعْرُوفَةِ، فَلَا يَحْسَبُوا أَنَّهُمْ غَيْرُ مَأْمُورِينَ، بِبَذْلِ الوُسْعِ لِوَسَائِلِ النَّصْرِ، الَّتِي هي أَسْبَابٌ نَاطَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا مُسَبَّبَاتِهَا، عَلَى حَسَبِ الحِكْمَةِ الَّتِي اقْتَضَاهَا النِّظَامُ الَّذِي سَنَّهُ اللَّهُ في الأَسْبَابِ وَمُسَبَّبَاتِهَا، فَتَطَلُّبُ المُسَبَّبَاتِ دُونَ أَسْبَابِهَا غَلَطٌ، وَسُوءُ أَدَبٍ مَعَ خَالِقِ الأَسْبَابِ وَمُسَبَّبَاتِهَا ... فَالمُسْلِمُونَ إِذَا بَذَلُوا وُسْعَهُمْ، وَلَمْ يُفَرِّطُوا في شَيْءٍ، ثُمَّ ارْتَبَكُوا في أَمْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ، فَاللَّهُ نَاصِرُهُمْ، وَمُؤَيِّدُهُمْ فِيمَا لَا قِبَلَ لَهُمْ بِتَحْصِيلِه، وَلَقَدْ نَصَرَهُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وهُم أَذِلَّةٌ، إِذْ هم يومئذ جُمْلَةُ المُسْلِمِينَ، وَإِذْ لَمْ يُقَصِّرُوا في شَيْءٍ، فَأَمَّا أَقْوَامٌ يُتْلِفُونَ أَمْوَالَ المُسْلِمِينَ في شَهَوَاتِهِمْ، وَيُفِيتُونَ الفُرَصَ وَقْتَ الأَمْنِ فَلَا يَسْتَعِدُّونَ لِشَيْءٍ، ثُمَّ يَطْلُبُونَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ، فَأُولَئِكَ قَوْمٌ مَغْرُورُونَ، وَلِذَلِكَ يُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ بِتَفْرِيطِهِمْ، وَلَعَلَّهُ يَتَدَارَكُهُمْ في خِلَالِ ذَلِكَ بِلُطْفِه، فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى اسْتِبْقَاءِ الدِّينِ"[2].

(1) الرّازي، التّفسير الكبير: 5/294.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/212.

دَلالةُ (في) في قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

جاءَ حرفُ (في) لِلظَّرْفِيَّةِ، وهو المعنى الظَّاهرُ في الآيةِ؛ "لِأَنَّ النَّفَقَةَ تَكُونُ بِإِعْطَاءِ العَتَادِ، وَالخَيْلِ، وَالزَّادِ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ مَظْرُوفٌ لِلْجِهَادِ عَلَى وَجْهِ المَجَازِ، وَلَيْسَتْ (فِي) هُنَا مُسْتَعْمَلَةً لِلتَّعْلِيلِ"[1].

دلالةُ الكلمةِ الشَّائعة على المقصودِ:

(سبيل الله) تركيبٌ إضافيٌّ يُرادُ بِه الجهاد.

من الكلماتِ الشَّائعة في القُرآنِ الكريمِ التَّركيبُ الإضافيُّ: ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، والمقصودُ بها إذا أُطلقت الجهادُ، فيكون معنى الآية: وأنفقوا "في الجهاد في سبيل اللَّه، وكلُّ ما أمر اللَّه به منَ الخير، فهو من سبيل الله، أي: منَ الطّريق إلى اللَّه ﷻ؛ لأنّ السّبيل في اللّغة الطّريقُ، وإنّما استُعمل في الجهاد أكثرَ؛ لأنّه السّبيلُ الّذي يُقاتَلُ فيه على عَقد الدّين"[2]، "وَقَدْ غَلَبَ (سَبِيلُ اللَّهِ)، فِي اصْطِلَاحِ الشَّرْعِ فِي الجِهَادِ، أَيِ القِتَالِ لِلذَّبِّ عَنْ دِينِهِ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ"[3].

دَلالةُ المجازِ في قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

"لَمَّا عُلِمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ النَّاسُ، تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ مِنَ الطَّرِيقِ، العَمَلَ المُوصِلَ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ؛ فَهُوَ مَجَازٌ فِي اللَّفْظِ وَمَجَازٌ فِي الإِسْنَادِ"[4].

بَلاغةُ الوَصْلِ في قوله: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾:

عُطِفَتْ الجملةُ وَلَمْ تُفْصَلْ؛ لأَنَّهَا غَرَضٌ مِنْ أَغْرَاضِ الإِرْشَادِ

العَطفُ في قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ هو "عَطْفُ غَرَضٍ عَلَى غَرَضٍ، عُقِّبَ الأَمْرُ بِالإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالنَّهْيِ عَنِ الأَعْمَالِ الَّتِي لَهَا عَوَاقِبُ ضَارَّةٌ، إِبْلَاغًا لِلنَّصِيحَةِ وَالإِرْشَادِ، لِئَلَّا يَدْفَعَ بِهِمْ يَقِينُهُمْ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ، إِلَى التَّفْرِيطِ فِي وَسَائِلِ الحَذَرِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/213.
(2) الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/265.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/213.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/213.

مِنْ غَلَبَةِ العَدُوِّ؛ فَالنَّهْيُ عَنِ الإلقَاءِ بِالنُّفُوسِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، يَجْمَعُ مَعْنَى الأَمْرِ بِالإِنْفَاقِ وَغَيْرِهِ مِنْ تَصَارِيفِ الحَرْبِ وَحِفْظِ النُّفُوسِ، وَلِذَلِكَ فَالجُمْلَةُ فِيهَا مَعْنَى التَّذْيِيلِ، وَإِنَّمَا عُطِفَتْ وَلَمْ تُفْصَل، بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا غَرَضٌ آخَرُ مِنْ أَغْرَاضِ الإِرْشَادِ"[1].

بيانُ المجازِ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾:

ذكرَ (الأيدي)، وأراد الأنفُسَ والذّاتَ، من إطلاق الجُزء على الكُلّ

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، "مجازٌ حيث أطلق الأيدِي، وأراد الأنفُسَ؛ من إطلاق الجُزء على الكُلّ"[2]؛ "لأنّ البطشَ والحركةَ يكون بها؛ فهي مجازٌ مرسلٌ علاقتُه الجُزئيّة، من إطلاق الجزء، وإرادة الكُلّ، أو السّببيةُ؛ لأنّ اليدَ سببُ الحركة"[3]؛ كقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحجّ: 110]، ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: 30][4]، و"يَجُوزُ أَنْ تُجْعَلَ اليَدُ مَعَ هَذَا مَجَازًا عَنِ الذَّاتِ، بِعَلَاقَةِ البَعْضِيَّةِ؛ لِأَنَّ اليَدَ أَهَمُّ شَيْءٍ فِي النَّفْسِ فِي هَذَا المَعْنَى"[5].

تعديةُ فعلِ الإلقاءِ بالباءِ في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ﴾:

تضمين فعل الإلقاء معنى الإفضاء

ضُمِّنَ (ألقَى)، مَعْنَى الإفضاء، وهو يَتَعَدَّى بِالبَاءِ، فَعَدَّاهُ بِهَا، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَلَا تُفْضُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ، كَقَوْلِهِ: (أَفْضَيْتُ بِجَنْبِي إِلَى الأَرْضِ)، أَيْ: طَرَحْتُ جَنْبِي عَلَى الأَرْضِ[6]، وقيل: "الباء زائدةٌ، أراد: لا تُلقوا أيديَكم"[7]، "ومعناه: لا تُلقوا أيديَكم إلى التَّهلكة، والأيدِي عبارةٌ عن كلِّ البدنِ"[8]، وعليه فالباءُ "مزيدةٌ في المفعول لتأكيد معنى النّهي؛ لأنّ (ألقى) يتعدّى بنفسه"[9]، وزيادتُها "لتقوية

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/213.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 3/196-197.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 1/285.
(4) الواحديّ، التّفسير البسيط: 3/632.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/213.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/253.
(7) الواحديّ، التّفسير البسيط: 3/632.
(8) النّسفي، التّيسير في التّفسير: 3/119، وينظر: البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/129.
(9) الآلوسي، روح المعاني: 2/78، وينظر: أبو حيّان، البحر المحيط: 2/252.

معنى الإلقاء المَنهيِّ عنه، فيَقْوَى النّهيُ ... والمعنى: لا تُلقُوا أنفسَكم إلى التّهلكة"[1]، والصَّحيح أنَّ فعلَ الإلقاءِ ضُمِّن معنى الإفضاءِ، لما فيه من زيادةِ معنًى، والقولُ بالزيادةِ يتنافرُ مع دقَّةِ النَّظمِ القرآنيِّ.

حملُ الباءِ على بابِها وتقديرُ (أنْفسكُمْ):

وإمَّا أن تكون الباءُ على بابِها غيرَ مزيدة، "والأيدي أيضًا على حقيقتِها، ويكون المفعولُ محذوفًا، أي: لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ أنفسَكم إِلَى التَّهْلُكَةِ، وفائدةُ ذكر الأيدي حينئذٍ التّصريحُ بالنّهي عنِ الإلقاء إليها، بالقَصْد والاختيارِ"[2]؛ فالأنفسُ مضمرةٌ، والباءُ أداةٌ.

وجوهُ التَّهلُكة كثيرةٌ؛ منها ما نَجمَ عن إفراطٍ، ومنها ما نَتج عن تفريطٍ:

انفساحُ التّأويلات لمعانٍ عدّةٍ للفظ (التَّهلُكة)، يُؤكّدُ بلاغةَ اللّفظِ ودِقّةَ استعمالِه

اتَّسعت دلالةُ التَّهلكةِ في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، إلى ستّةُ تأويلات، وهذا دليل الثَّراء في اللَّفظِ والسِّياق القرآنيِّ:

أحدها: أن تتركواْ النّفقةَ في سبيل الله تعالى، فتَهلكُواْ بالإثم.

الثّاني: أي: لا تَخرجُواْ بغير زادٍ، فتَهلكُواْ بالضَّعف.

الثّالث: أي: تيأسُواْ منَ المغفرة، عند ارتكاب المعاصي، فلا تتوبُواْ.

الرّابع: أن تَتركواْ الجهادَ في سبيل الله، فتَهلكُواْ.

الخامس: أنّها التّقحّمُ في القتال، من غيرِ نكايةٍ في العدوّ.

السّادس: أنّه عامّ محمولٌ على جميع ذلك كلِّه[3].

دَلالةُ النّهي على العُموم: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾:

مَجيءُ الفعل (تلقوا) في سياق النَّهي، يَقتَضِي عُمُومَ كُلِّ إلقَاءٍ

دلَّ فعلُ الإلقاء في سِيَاقِ النَّهْي في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، على "عُمُوم كُلِّ إلقَاءٍ بِاليَدِ لِلتَّهْلُكَةِ، أَيْ: كُلِّ تَسَبُّبٍ فِي الهَلَاكِ عَنْ عَمْدٍ، فَيَكُونُ مَنْهِيًّا عَنْهُ مُحَرَّمًا، مَا لَمْ يُوجَدْ مُقْتَضٍ لِإِزَالَةِ ذَلِكَ التَّحْرِيمِ، وهو مَا يَكُونُ حِفْظُهُ مُقَدَّمًا عَلَى

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 2/594-595.

(2) الآلوسّي، روح المعاني: 1/475.

(3) الماورديّ، النّكت والعيون: 1/253-254.

حِفْظِ النَّفْسِ، مَعَ تَحَقُّقِ حُصُولِ حِفْظِهِ، بِسَبَبِ الإِلقَاءِ بِالنَّفْسِ إِلَى الهَلَاكِ، أَوْ حِفْظِ بَعْضِهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ؛ فَالتَّفْرِيطُ فِي الاِسْتِعْدَادِ لِلْجِهَادِ حَرَامٌ لَا مَحَالَةَ؛ لِأَنَّهُ إِلقَاءٌ بِاليَدِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَإِلقَاءٌ بِالأُمَّةِ وَالدِّينِ إِلَيْهَا، بِإِتْلَافِ نُفُوسِ المُسْلِمِينَ"[1].

سرُّ العُدولِ عن لفظ (الهلاك) إلى لفظ ﴿ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾:

رأى أبو زهرة – رحمه الله تعالى – فرقًا بين الهلاك والتَّهلكة، فقال: "إنّ (التّهلُكة) إذا كانت بمعنى (الهلاك) في المال، فلا بدّ أن يكون ثمّةَ فرقٌ دقيقٌ، اقتضى العُدولَ من لفظ الهلاك إلى لفظ التّهلُكة، كما هو الشّأنُ في التّخيير منَ الألفاظ المُترادفةِ في الكلام البليغ، ولو أنّ لنا أن نَتلمَّس فرْقًا، فهو أن نقول: إنّ التّهلكة هلاكٌ خاصّ، وهو الّذي يُباشرُ سببَه من يَنزل به الهلاكُ، وربّما لا ينزلُ دُفعةً واحدةً، بل يَسري شيئًا فشيئًا، ولكنَّ نتيجتَه تكونُ مُؤكَّدةً، أمّا لفظُ الهلاك فهو يشملُ ما ينزلُ دفعةً واحدةً، وما لا يكون للإنسان فيه إرادةٌ، وغيرَهما"[2].

التّهلُكةُ هلاكٌ تدريجيٌّ، والهلاكُ إطلاقٌ عامٌّ

وجهُ الأمرِ بالإحسان بعدَ النّهيِ عنِ التّهلكة:

أمر سبحانه وتعالى بالإحسانِ بعد النَّهي عن إلقاءِ الأيدي في التَّهلكة في قوله: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ﴾ وفي ذلك "إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ كُلَّ هَاتِهِ الأَحْوَالِ يُلَابِسُهَا الإِحْسَانُ وَيَحُفُّ بِهَا، فَفِي الاِعْتِدَاءِ يَكُونُ الإِحْسَانُ بِالوُقُوفِ عِنْدَ الحُدُودِ وَالاِقْتِصَادِ فِي الاِعْتِدَاءِ، وَالاِقْتِنَاعِ بِمَا يَحْصُلُ بِهِ الصَّلَاحُ المَطْلُوبُ، وَفِي الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَكُونُ الإِحْسَانُ بِالرِّفْقِ بِالأَسِيرِ وَالمَغْلُوبِ، وَبِحِفْظِ أَمْوَالِ المَغْلُوبِينَ وَدِيَارِهِمْ مِنَ التَّخْرِيبِ وَالتَّحْرِيقِ، وَالعَرَبُ تَقُولُ: مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ، وَالحَذَرُ مِنَ الإِلقَاءِ بِاليَدِ إِلَى التَّهْلُكَةِ إِحْسَانٌ"[3].

إشـارةٌ إلى أنّ الإحسانَ يجبُ أن يَحُفَّ الأعمالَ جميعًا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/215.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 2/594.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/216.

دَلالةُ الإحسان في القرآن الكريمِ:

الإجـــــادةُ والإتـــقـــانُ، مُرتكَزان مُهِمّان لـتـجـسـيـد الإحسان

يُطلق الإحسانُ في القرآنِ الكريم، على معنَيَين اثنين وهما:

الأوّل: الإتقانُ والإجادةُ في العمل، والقيامُ بالطّاعات على وجهها.

الثّاني: التّفضّلُ على غيره بالعَطاء والزِّيادة فيه.

والمعنى الثّاني في الجملةِ يَعودُ إلى الأوّل؛ لأنّ ذلك من قَبيل إتقان العِبادة، والإخلاصِ الكاملِ فيها، وعلى ذلك نرى أنّ الإحسانَ هنا هو الإجادةُ والإتقان، وقد أمر الله سبحانه المؤمنين بعدَ الأمرِ بالقتال، أن يُجيدوا كلَّ أعمالهم كلَّ الإجادة، وأن يَحتاطُوا في كلِّ ما هو متّصلٌ بحياتهم الشّخصيّةِ، وأحوالِهم الاجتماعيّةِ، وشؤونِ دولتِهم، وما يُقيم أودَها، ويُصلح أمرَها[1].

فائدةُ حذفِ مفعولِ فعل: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾:

تنبيهُ المخاطَبين على أنَّ الإحسانَ مطلوبٌ في كُلِّ حَالٍ

اختلف المفسِّرون في تعيين مفعولِ ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾، وفيما يكون فيه الإحسانُ، فقيل: أَحْسِنُوا في فَرَائِضِ اللَّهِ، وقيل: أَحسنُوا الظّنَّ باللهِ[2]، وَقيل: "وَأَحْسِنُوا فِي الإِنْفَاقِ عَلَى مَنْ تَلْزَمُكُمْ مُؤْنَتُهُ وَنَفَقَتُهُ، وَالمَقْصُودُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الإِنْفَاقُ وَسَطًا فَلَا تُسْرِفُوا وَلَا تُقَتِّرُوا، وَهَذَا هُوَ الأَقْرَبُ لِاتِّصَالِهِ بِمَا قَبْلَهُ؛ وَيُمْكِنُ حَمْلُ الآيَةِ عَلَى جَمِيعِ الوُجُوهِ"[3].

والأَوْلَى "حَمْلُهُ عَلَى طَلَبِ الإِحْسَانِ، مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِمَفْعُولٍ مُعَيَّنٍ"[4]، "وفي حَذْفِ مُتَعَلِّقِ ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾، تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الإِحْسَانَ مَطْلُوبٌ فِي كُلِّ حَالٍ"[5].

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 2/596-597.
(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 1/158.
(3) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 5/296.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/253.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/216.

دَلالةُ إسنادِ المحبّةِ إلى الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

المقصودُ بحب الله للمحسنين في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ إرادةُ الخيرِ بهم[1]، وصفة (المحبّة) قد وصف الله بها نفْسَه في كتابه العزيز وسنّة نبيّه الكريم ﷺ، فنُثبتها كما جاءت من غير تحريف أو تعطيل أو تشبيه، فهو سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

محبّةُ الله تعالى لعبادِه، أمانٌ وضَمانٌ وإحسانٌ

فائدةُ الإخبار عن محبّةِ الله للمُحسِنين:

غرضُ الإخبارِ عن محبَّةِ اللّه للمحسنين التَّحريضُ "عَلَى الإِحْسَانِ؛ لِأَنَّ فِيهِ إِعْلَامًا بِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنَ الإِحْسَانُ صِفَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ لِهَذَا الوَصْفِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ وَصْفُ الإِحْسَانِ بِهِ دَائِمًا، بِحَيْثُ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَحَبَّةُ اللَّهِ دَائِمًا"[2]، والتَّرْغِيبُ "فِي الإِحْسَانِ؛ لِأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ عَبْدَهُ غَايَةُ مَا يَطْلُبُهُ النَّاسُ، إِذْ مَحَبَّةُ اللَّهِ العَبْدَ سَبَبُ الصَّلَاحِ والخَيْرِ دُنْيَا وَآخِرَةً"[3]، والتَّنبيهُ على شرفِ المُحسنين[4].

محبّةُ الله تعالى نعمةٌ كبيرةٌ، تُنالُ بدَواعِي الإحسان الأثيرة

دلالةُ الألفِ واللّام في لفظِ ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ :

الألفُ واللّام في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، للاسْتِغْرَاقِ العُرْفِيِّ، وَالمُرَادُ المُحْسِنُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ"[5]، لا المحسنون بوجهٍ عامّ.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/205.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/254.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/216.
(4) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/411.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/216.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث، سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 3 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-54-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 3 : سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-54-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1789539 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»